

في خضم الهجمات المتعددة الأشكال، بات الواقع الذي نعيش يشهد مرحلة انتقالية بين ما هو أصيل وبين ما هو قادم إلينا من دول فشلت في إبادتنا عرقياً، فلجأت إلى الإبادة الفكرية والأخلاقية، على اعتبار أن نتائجها أبعد مدى وأشد تأثيراً لأجيال وأجيال قادمة، مما يعني أن حصيلتها أوفر، ولأنهم يدركون أن المناعة الثقافية والأخلاقية هي التي حافظت على كينونة هذه المنطقة على مدى احتلالات وغزوات وإبادات متعددة، كان لابد من اللجوء إلى الأخطر في العمل على الإطاحة بقيمنا الأخلاقية مما يخلق ضياعاً وعدم انتماء.

ولأنني لا أرى الدخان فقط، وإنما أرى النار التي تكاد تلتهم كل شيء أقول إنه مخطط استراتيجي هدفه الهدم من الأساس ومفرداته التطرف، أقصى التطرف الأخلاقي والديني وبالنتيجة ضياع للقيم الحقيقية التي بني عليها المجتمع. أما أدواته المباشرة، فعشرات المحطات الفضائية الغنائية وعشرات البرامج الخلاعية ذات الإنتاج الضخم، والتي تأخذ على عاتقها الفساد الأخلاقي في المجتمع عبر قصف غنائي هابط وفيديو كليب رخيص لا يحمل أي معنى فني ولا روحي، ولكن يسوق بصورة مسخمة عن المرأة « نصف المجتمع » عبر توظيف جسدها بإيحاءات تصل إلى حد الإباحية. هذا التوظيف الذي ينذر بخطر كبير على سوية قيمنا الأخلاقية والدينية.

أما فضائيات (Action) فتأخذ على عاتقها بث العنف والانتقام والابتعاد عن القانون، وفضائيات السحر والشعوذة تعمل على نشر ثقافة الاتكال والبعد عن العلم والدين أيضاً، هذا بالتزامن مع ما تبثه بعض المحطات الدينية والتي تعمل بمخطط مدروسة لشق صف المجتمع الواحد عبر إثارة النعرات الطائفية.

أما ما يتعرض له مجتمعنا من حرب نفسية فتقوم به المحطات الإخبارية عبر نقل الخبر مجتزئاً، أو التعتيم على أخبار، وتضخيم أخبار أخرى، وتشويهه للتاريخ وإفراغه من مضمونه، والتشكيك بالانتصارات لتعميق الهزائم وإشعال نار الفتنة وإخماد رأي الحكمة والعقل والموضوعية.

إن هذا الغزو الفضائي الذي تعاني منه مختلف الشرائح في مجتمعنا يضع الحكومات أمام مسؤولياتها وكذلك مواجهة هذا الواقع، وأقله القيام بحملات تثقيفية وتوعوية للوصول بالمجتمع العربي إلى ما يجب أن يكون. وعلى المجتمع أن يتحمل بأفراده، مفرقين أو مجتمعين في أطر أسرية المسؤوليات بغية ضبط إيقاع هذا الكم الكبير للفضائيات على شاشة البيت الواحد، أو على أقل تقدير التخفيف من النتائج الكارثية لها.

المستباحون ولا من...! فاديا جبريل